جهود مكي بن أبي طالب القيسي في القراءات القرآنية– دراسة وصفية تحليلية لكتابه الكشف.

The efforts of Makki bin Abi Talib al-Qaisi in the Qur'anic readings - a descriptive and analytical study of his book Al-Kashf–

ط د صليحة رقوع

جامعة حسيبة بن بوعلي –الشلف–(الجزائر)

s.reggoua97@univ-chlef.dz

مخبر نظرية اللغة الوظيفية

أ د نور الدين دريم

جامعة حسيبة بن بوعلي–الشلف–(الجزائر)

n.drim@univ-chlef.dz

تاريخ الإرسال:2023/05/21	تاريخ القبول:2023/06/16	تاريخ النشر:2023/06/17

ملخص:

علم القراءات القرآنيّة من أهمّ العلوم التي حظيت باهتمام المسلمين، لتعلّقه بكتاب رب العالمين؛ إذ يحفظه من اللّحن، ويضبطه بقراءة صحيحة موافقة للرّسم العثماني، ومرويّة بالسّند المتصل إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلم، ولمّا كان للقراءات القرآنيّة كلّ هذا الشّأن والأهميّة صرف الكثير من علمائنا هممهم، ووجّهوا عنايتهم إلى التّأليف في هذا المجال– علم القراءات القرآنيّة–.

وفي بحثنا هذا سنسلّط الضّوء على مؤلّف من أهمّ المؤلّفات في توجيه القراءات القرآنيّة، ألا وهو كتاب: الكشف عن وجوه القراءات السّبع وعللها وحججها لمكّي بن أبي طالب القيسي، الذي يعدّ واحدا

من أهمّ العلماء الذين اعتنوا بتوجيه القراءات القرآنيّة ببيان حججها وعللها؛ إذ رمى في كتابه هذا إلى البحث عن الوجوه اللّغويّة للقراءات القرآنيّة الصّوتيّة والصّرفيّة والنّحويّة والدّلاليّة، وتتبع هذه الظّواهر بالشّرح والتّفصيل؛ إذ عليها بُني اختلاف وتنوع وتعدد القراءات القرآنيّة، فمن هو القيسي، وما هي الموضوعات التي تناولها في كتابه، وما خطّته في عرضها؟.

الكلمات المفتاحيّة: مكّي بن أبي طالب القيسي، الكشف، الحجج، العلل، التّوجيه، القراءات القرآنيّة.

summary:

The science of Qur'anic readings is one of the most important sciences that attracted the attention of Muslims, due to its connection to the Book of the Lord of the Worlds. As he preserves it from the melody, and adjusts it with a correct reading that agrees with the Ottoman drawing, and it is narrated with the chain of transmission that is connected to the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, and since the Quranic readings have all this importance and importance, many of our scholars devoted their efforts, and directed their attention to writing in this field - the science of Quranic readings -.

In this research, we will shed light on one of the most important books in guiding Quranic readings, which is the book: Unveiling the Faces of the Seven Readings, Their Causes, and Their Proofs by Makki bin Abi Talib Al-Qaisi, who is one of the most important scholars who took care of directing Quranic readings by explaining their arguments and reasons; As he aimed in this book to search for the linguistic aspects of the phonetic, morphological, grammatical and semantic Quranic readings, and to follow these phenomena in explanation and detail; As it is based on the difference, diversity, and multiplicity of Quranic readings, so who is Al-Qaisi, what are the topics that he dealt with in his book, and what is his plan in presenting it?.

Keywords: Makki bin Abi Talib al-Qaisi, disclosure, arguments, causes, guidance, Quranic readings.

1-ترجمة مختصر لمكي القيسي:

1-1 **اسمه ونسبه:** هو أبو محمّد مكّي بن أبي طالب بن حموش بن محمّد بن مختار القيسي المقرئ[1].

2-1 **مولده:** ولد لسبع بقين من شعبان سنة خمس وخمسين وثلثمائة (355هـ) عند طلوع الشّمس أو قبل طلوعها بقليل، وكان مولده بالقيروان[2].

3-1 **طلبه للعلم ورحلاته:** في سن مبكرة لم يتجاوز الثّالثة عشرة شدّ الرّحال إلى مصر، فكان يقيم سنتين وثلاثا ثمّ يعود إلى القيروان، أو يمضي إلى بلاد الحجاز ليؤدّي فريضة الحجّ، وهو في مصر أو في القيروان كان يلقى الشّيوخ، ويأخذ عنهم، ويستدرك ويستكمل على هؤلاء وهؤلاء، لا يقصّر ولا يمل، وبدأت رحلاته منذ سنة سبع أو ثمان وسنتين وثلاثمائة، وانتهت سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة؛ أي مدّة خمس وعشرين سنة قضاها متردّدا بين بلده القيروان ومصر، ثمّ بين مصر والحجاز والشّام، ثمّ أمضى سنة بالقيروان حتّى إذا كانت سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة نهض مفارقا القيروان لا إلى رجعة متوجها إلى الأندلس قاصدا قرطبة، ليمضي هناك بقيّة عمره.

4-1 منزلته العلميّة: تأثر مكّي في علومه ببيئته، فاهتم بما تهتم به من العلوم، وأبدع في بعض ماتؤثره منها،اهتم بعلوم القرآن، وعلوم الحديث، واللّغة، ووقف عليها حياته، مع إبداع كبير في القراءات وعلومها، وتبحر في النّحو ومذاهبه، وسعة رواية الحديث مع تمام الضّبط.

5-1 **عوامل إبداعه في القراءات القرآنيّة:**

أ- **سعة الرّواية وكثرتها:** بالأسانيد المتصلة في روايات القراءات ووجوها' وفي تاريخ رواتها، وطبقاتهم، فتراه يوثق كلّمعلومة بالإسناد المتصل إلى قائلها، هذا ولمكّي معرفة واسعة بتاريخ رواة القراءات، ودرجاتهم وطبقاتهم.

ب-الضّبط التّام: بحيث يؤدّي مسموعاته ومروياته كما سمعها، وهذا الضّبط هو الذي يعلّي قدر العالم، ويرفع منزلته، وقد شهد النّقاد لمكّي أنّه قد بلغ في ذلك شأنا عظيما.

ت-الدّقة العلميّة: ولقد رزق مكّي دقّة الملاحظة، وتيقظا وانتباها، بحيث لا تفوته الأخطاء، ولا تجوز عليه الأوهام.

6-1 تعليمه:

أ- **شيوخه:** الحافظ أبو الحسن القابسي، أبو محمّد بن أبي زيد، محمّد بن علي أبو بكر الأدفوي، أبو الطّيب بن غلبون الذي يرجع إليه ضبط مكّي للقراءة، أبي عدي الإمام، أخذ عنه مكّي رواية ورش، عبد الله بن أحمد أبو ذر الهروي.

ب- **تلاميذه:** أبو عمرو المقرئ، أبو طال محمّد، أبو عبد الله الطّرفي، أبو الوليد محمّد بن جمهور،أبو عبد الله بن شريح، أبو عبد الله محمّ بن عتاب.

7-1 **مؤلفاته:** ترك مكّي -رحمه الله- عدّة مؤلفات تنوعت مابين علوم القرآن، وعلوم اللّغة والفقه وعلم الكلام وغيره نذكر منها:

أ- **في علوم القرآن:** التبصرة في القراءات[3]، الكشف عن وجوه القراءات السّبع وعللها وحججها، تفسير مشكل إعراب القرآن[4]، الهداية إلى بلوغ النّهاية في التّفسير[5]، الإيضاح في النّاسخ والمنسوخ، منتخب الحجّة في القراءات لأبي علي الفارسي، الإمالة، اختصار أحكام القرآن، الياءات المشددة في القرآن الكريم والكلام، الحروف المدغمة، وغيرها كثير.

ب- **في علوم اللّغة:** الزّاهي في اللّمع الدّالة على مشتملات الإعراب، دخول حروف الجر بعضها مكان بعض، منتخب كتاب الإخوان لابن وكيع، المنتقى في الأخبار، الرّياض، في مسائل الإخبار بالذي وبالألف واللّام...

ت- **في الفقه وعلم الكلام وغيره:** فرض الحجّ على من استطاع إليه سبيلا، إيجاب الجزاء على قاتل الصّيد في الحرم خطأ في مذهب مالك والحجّة على ذلك، بيان العمل في الحجّ أوّل الإحرام وغيرها من المؤلفات.

8-1 **ثناء الأئمّة عليه:** ذكر الذّهبي أنّ مكّي " كان من أوعية العلم مع الدّين والسّكينة والفهم، وهو شيخ الأندلس وعالمها، وكان من أهل التّبحر في العلوم"[6]، وذكر ابن بشكوال في كتابه الصّلة أنّه " كان له حظ وافر من الأدب، وكان حسن الحظ، جيد التّقييد"[7]، وقال جمال الدّين القفطي ثناء عليه: " وكان خيرا فاضلا متواضعا متدينا مشهورا بالصّلاح، وإجابة الدّعوة"[8].

9-1 **وفاته:**توفي مكّي بن أبي طالب القيسي –رحمه الله– يوم السّبت، عند صلاة الفجر، ودُفن ضحى يوم الأحد لليلتين خلتا من المحرّم سنة سبع وثلاثين وأربعمائة (437هـ)، ودُفن بالرّبض، وصلّى عليه ابنه أبو طالب محمّد القيسي[9].

2_ القراءة الشّكلية لكتاب: الكشف عن وجوه القراءات السّبع وعللها وحججها.

2-1 وصف الكتاب خارجيا:

كتاب: "الكشف عن وجوه القراءات السّبع وعللها وحججها" متوسط الحجم، ألفه: "أبو محمّد مكّي بن أبي طالب القيسي" (355-437هـ)، نشر هذا الكتاب بدار الحديث بالقاهرة، مصر، طبع سنة: (1428هـ-2007م)، حقّقه: "عبد الرّحيم الطّهروني".

واجهة الكتاب مزخرفة باللّون الذّهبي واللّون الأخضر واللّون الأحمر، كُتب أعلاها عنوان الكتاب بخط كبير الحجم وواضح الكتابة، باللّون الذّهبي (الكشف عن وجوه القراءات السّبع وعللها وحججها)، في مربع أحمر اللّون ومزخرف، حيث وردت كلمة "الكشف" بارزة وذلك ربما لما تحمله من أهميّة بالنسبة للكتاب وصاحبه، تحت العنوان مباشرة ذُكِر اسم مؤلّف الكتاب بخطّ متوسط الحجم بلون ذهبيّ أيضا

وتاريخ ازدياده ووفاته (للإمام أبي محمّد مكّي بن أبي طالب القيسي 355–437هـ)، يليه اسم المحقّق وتخصصه، حيث دُوّن الاسم بخط متوسط ، وتخصص المحقّق بخط صغير الحجم (تحقيق: الشّيخ عبد الرّحيم الطّهروني، تخصّص في القراءات وعلوم القرآن الكريم)، أسفل الواجهة في الوسط ذُكر (الجزء الأوّل)، أسفله دار النّشر وبلد النّشر في حيّز أحمر اللّون (دار الحديث، القاهرة).

يتألّف كتاب: " الكشف عن وجوه القراءات السّبع وعللها وحججها" من جزأين، أمّا الجزء الأوّل فعدد صفحاته أربع مئة و اثنين وسبعين صفحة (472)، والجزء الثّاني خمس مئة وثلاث صفحات (503).

ذكر المحقّق في الصّفحة الأولى للكتاب معلومات الكتاب، أعلى الصّفحة وردت عبارة: " جميع الحقوق محفوظة للنّاشر"، يليها اسم الكتاب، واسم المؤلّف، واسم المحقّق، وعدد القطع، وعدد الصفحات، وسنة الطّبع، ورقم الإيداع، وفي نهاية الصّفحة نجد دار النّشر، كل هاته المعلومات دُوّنت باللّون الأسود، أمّا الصفحة المقابلة لها فهي نسخة من الصّفحة الخارجيّة للكتاب(واجهة الكتاب)، إلّا أنّ المعلومات كُتبت باللّون الأسود الدّاكن، وواجهة الغلاف بلون ذهبيّ بارز، والصّفحة الأخيرة لغلاف الكتاب جاءت باللّون الأخضر الدّاكن ولم يُكتب عليها شيء.

أمّا عن موضوعات الكتاب فهي كثيرة جدّا نذكر بعضها، من بين موضوعات الجزء الأول للكتاب مايلي:

- نبذة مختصرة عن علم الاجتماع للقراءات.
- تعريفه وأسبابه وتاريخه وأنواعه.
- ترجمة المؤلّف.
- عصر مكّي.
- طلبه للعلم ورحلاته.
- تصدّره للإمامة والتّدريس.
- علومه ومنزلته العلميّة.
- القراءات.
- عوامل إبداع مكّي في القراءات.

بداية صفحات كتابه كانت عبارة عن بطاقة تعريفيّة للمؤلّف، ثمّ بعدها ذكر المحقّق خطّة الكتاب ومنهج القيسي في الكتاب والمصادر التي اعتمد عليها في تأليفه لكتاب الكشف، ثمّ بعدها قسّم الكتاب إلى ثلاثة

فصول، أمّا الفصل الأوّل تحدّث فيه عن القراءات القرآنيّة: تعريفها، الدّليل على مشروعيتها، أنواعها، سبب تعدّدها،، فوائد تعدّدها، ثمّ تراجم القرّاء العشر بذكر أسمائهم وسنة وفاتهم، يليه الفصل الثّاني معنون ب: من أشهر علماء القرآن والقراءات من القرن الرّابع هجري، وتحته عناوين فرعية حملت أسماء العلماء وسنة وفاتهم، وأخيرا الفصل الثالث الموسوم ب: من أشهر ماصُنِّف في القرن الرّابع الهجري ،وذكر تحته كل المؤلفات التي دوّنت خلال هاته الفترة، بداية بكتاب السّبعة في القراءات ، وغيرها من موضوعات الكتاب التي لا يسعني أن أذكرها كلّها في هذا المقال.

أمّا موضوعات الجزء الثّاني من الكتاب فكانت تكملة للموضوعات الجزء الأوّل؛ إذ بدأ المؤلّف في هذا الأخير بذكر حجج القراءات وعللها بداية بسورة الحمد وآل عمران والنّساء والمائدة، ليُكمل ماتبقى من السّور القرآنيّة في الجزء الثّاني.

2-2 بطاقة تعريفيّة للكتاب:

المؤلف: أبو محمّد مكّي بن أبي طالب القيسي.
عنوان الكتاب: الكشف عن وجوه القراءات السّبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب القيسي.
تحقيق: عبد الرّحيم الطّرهوني.
عدد الاجزاء :02
دار النشر: دار الحديث.
البلد:القاهرة، مصر.
الطبعة: دط.
السّنة: 2007
عدد الصفحات الجزء الأول :(472 صفحة) والجزء الثاني: (503صفحة)

3- دوافع تأليف الكتاب:

ذكر مكّي بن أبي طالب القيسي دافع تأليفه لكتابه هذا قائلا: " كنت قد ألّفت بالمشرق كتابا مختصرا في القراءات السّبع سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة وسمّيته (التبصرة)، وهو فيما اختلف فيه القرّاء السّبعة المشهورون، وأضربت فيه عن الحجج والعلل ومقاييس النّحو في القراءات واللّغات طلبا للتّسهيل، وحرصا على التّخفيف، ووعدت في صدره أنّي سأؤلف كتابا في علل القراءات التي ذكرتها في ذلك الكتاب، (كتاب التّبصرة) ، أذكر فيه حجج القراءات ووجوهها، وأسميه (كتاب الكشف عن وجوه القراءات)، ثمّ تطاولت الأيّام، وترادفت الأشغال عن تأليفه وتبيينه ونظمه إلى سنة أربع وعشرين وأربعمائة، فرأيت أنّ

العمر قد تناهى، والزّوال من الدّنيا قد تدانى، فقويت النّيّة في تأليفه وإتمامه خوف فجأة الموت، وحدوث الفوت، وطمعا أن ينتفع به أهل الفهم من أهل القرآن، وأهل العلم من طلبة القراءات، فبادرت إلى تأليفه ونظمه ليكون باقيا على مرور الزّمان، وانقراض الأيّام، حرصا منّي على بقاء أجره، وجزيل ثوابه، أسأل الله أن ينفع به مؤلّفه والمقبس العلم منه" [10]، يتضح لنا من قول القيسي أنّ كتابه التبصرة، ونيته في نفع أهل العلم من طلبة القرآن والقراءات القرآنيّة، كانا سببا في تأليفه لهذا الكتاب الذي ذكر فيه علل وحجج القراءات القرآنيّة السّبعة.

4- أهميّة الكتاب:

يعدّ كتاب " الكشف عن وجوه القراءات السّبع وعللها وحججها" من أمّهات الكتب، حيث نال مكانة رفيعة، وأهميّة بالغة كونه تناول القراءات السّبعة للقرآن الكريم بشرح وجوهها وبيان عللها وحججها، فهو كتاب " فهم وعلم ودراية"[11] كما قال عنه مؤلّفه، كما أنّه يتناول موضوع سبب النّزول والشّواهد من القرآن الكريم؛ إذ قال محقّق هذا الكتاب عبد الرّحيم الطّرهوني في مقدّمته " وهذا السِفر – يقصد كتاب الكشف- في علم من علوم القرآن الكريم، وهو علم الاحتجاج الذي هو علم بيان الوجوه والعلل للقراءات القرآنيّة، فهو ينتقل بك من إعراب تتجلّى به المعاني، إلى تفسير للغريب، أو بيان لسبب النّزول، وما يعضد ذلك من شواهد من القرآن أو الحديث، أو الأثر، أو الشّعر، أو المثل، أو القول الذي ضربت جذوره في أعماق عصور الاحتجاج"[12]، وعليه فإنّ كتاب:" الكشف" واحد من أهمّ المصادر التي أُلّفت في علم الاحتجاج.

5- منهج مكي بن أبي طالب القيسي في كتابه: الكشف- دراسة في المنهج والمحتوى-

تناول القيسي موضوعاته في كتابه: "الكشف" بأسلوب واضح يفهمه المبتدئ والمتقدّم في طلب العلم، ففي مقدّمة كتابه التّبصرة، يبيّن لنا طريقته في التّأليف، حيث قال: " جمعت في هذا الكتاب من أصول ما فرّق في الكتب، وقرّبت البعيد فهمه على الطّالب، واعتمدت على حذف التّطويل، والإتيان بتمام المعاني مع الاختصار؛ ليكون تبصرة للطّالب، وتذكرة للعالم، حتّى قويت نيتي في كتاب قد علقت أكثره، أعمله لنفسي تذكرة إن شاء الله، أذكر فيه كشف وجوه القراءات، واختيار العلماء في ذلك... وأضربت عن التّكرار، ليقرب حفظه على من أراد ذلك، ولو أنّ ما فرق في الكتب ممّا نحن جامعوه، وما عدم فيه القول ممّا نحن قائلوه... يجب أن تعلم أيّها النّاظرفي هذا الكتاب أنّي ربما قدّمت المتأخر من الحروف المختلف فيها لتصنيفه إلى نظائره، فيكون أسهل للحفظ، وأقرب للمتعلّم، ثمّ لا نعيده في موضعه"[13]، ماذكره القيسي بيّن لنا أنّه انتهج نفس الطّريقة والأسلوب في جميع مؤلفاته، فاعتمد الاختصار وحذف التّطويل، و

اجتناب التّكرار بغية أن يفيد المتعلّم، ويسهل عليه حفظه وفهمه، وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ محقّق الكتاب، ذكر جملة من خصائص أسلوب مكّي في كتابه الكشف، وهي كالآتي:

" الدّقة: ولا تتوافر الدّقة في الأسلوب إلا لمن استوعب مادة بحثه وموضوعه، الاستقصاء والمناقشة، البيان والوضوح، المحاكمة والتّدليل: وهي ميزة ظاهرة لمن كان أسلوبه الشّرط، داعما ذلك بالتّمثيل والاستشهاد والعزو، فنراه يأتي بوجوه محتملة، وأخرى مروية، ويناقشها ويعاود بيانها، ويعرض إلى جوانبها، فإذا استنفذ كل وجه جاء بالوجه الذي يذهب إليه محتجّا له، النّتائج والأحكام: وهي تلزم عن المحاكمة والتّدليل لما يتوجب على من يحتكم ويدلل من الخلوص إلى نتيجة وحكم على ما عالجه"[14].

هذا عن أسلوب القيسي في مؤلّفه، أمّا خطّته في التّأليف عرضها في مقدّمة كتابه، حيث قال: " وهأنذا حين أبدأ بذلك أذكر علل مافي أبواب الأصول، دون أن أعيد ذكر مافي كلّ باب من الاختلاف؛ إذ ذاك منصوص في الكتاب الذي هذا شرحه، وأرتّب الكلام في علل الأصول على السّؤال والجواب، ثمّ إذا صرنا إلى فرش الحروف ذكرنا كلّ حرف، ومن قرأ به، وعلّته، وحجّة كلّ فريق، ثمّ أذكر اختياري في كلّ حرف وأنبّه على علّة اختياري لذلك، كما فعل من تقدّمنا من أئمّة المقرئين"[15]، من خلال قوله يمكننا تلخيص منهجه في كتابه هذا خاصّة وفي كلّ مؤلفاته بصفة عامّة؛ إذ ركّز القيسي – رحمه الله– على تبويب الموضوعات ، وتنظيم المادة في كتابه، كذلك تجنّب الاستطراد والتّكرار والإعادة، اعتمد التّرتيب والتّقسيم والتّصنيف؛ إذ عند طرحه لمسألة معينة يبدأ بذكر تلك المسألة، ويقدّم علل وحجج المقرئين لها، وفي الأخير يذكر اختياره بالحجّة والبرهان، وذلك مثلا في مسألة فرش الحروف كما ذكر سابقا.

بدأ القيسي كتابه بمقدّمة تصدّرها الحمد والصّلاة على النّبي المصطفى، وهذا نهج كلّ المؤلّفين في كتبهم، ولا سيّما المقرئين منهم وعلماء القرآن الكريم، والقراءات القرآنيّة،ثمّ بيّن فيها دوافع وأسباب تأليفه لكتابه الكشف، كما وضّح منهجه في عرض مادته في الكتاب، وتناول موضوعاتها، وختم مقدّمته بالاستعانة بالله عزّ وجلّ والصّلاة والسّلام على النّبيّ محمّد – صلّى الله عليه وسلّم– حيث قال: " وبالله أستعين على ذلك كلّه، وإليه، لا إله إلّا هو، أرغب في العصمة من الزّلل في القول والعمل، وهو حسبي ونعم الوكيل، وصلّى الله على محمّد النّبيّ، وعلى آله، وعلى جميع النّبيين والمرسلين وسلّم"[16].

ثمّ ذكر عدّة أبواب قبل أن يبدأ بعرض سور القرآن الكريم، منها: باب الاستعاذة، بدأ بذكر معنى الاستعاذة، فقال: " فإن قيل: فما معنى الاستعاذة، و ما أصل (أعوذ)؟ فالجواب: أنّ معنى الاستعاذة الاستجارة والامتناع بالله من همزات الشّياطين... فأمّا (أعوذ) فأصله (أعُوذ) على وزن (أفعُل) مثل (أدخل)، فألقيت حركة الواو على العين، فسكّنت الواو، وانضمت العين بمنزلة (أقول)"[17]، وعليه فمعنى

الاستعاذة اللّجوء إلى الله والاستعانة به ضدّ الشّيطان الرّجيم، وذكر بعدها صيغة الاستعاذة فاختار "أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم" وبيّن علّة اختياره، حيث قال: " وعلّة اختيار ذلك ما وقع في النّص بلفظ الأمر الذي معناه التّرغيب في قوله: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[18] فحثّنا الله على قول (أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم) عند القراءة، فعلينا امتثال هذا الذي رغبنا فيه عند افتتاح القراءة" [19]

بعدها باب علل البسملة، فتطرّق إلى مسألة قراءة البسملة في أوّل السّورة، والفصل بين كلّ سورتين بالبسملة، وإسقاط البسملة بين السّورتين بالعلل والحجج، وفرّق بين البسملة والتّسميّة فقال: " فإن قيل: ما معنى قولهم (التّسميّة والبسملة) وممّا اشتقاقهما؟، فالجواب: أنّ التّسميّة مصدر (سمّيت)، فقيل التّسميّة في (بسم الله الرّحمن الرّحيم)؛ لأنّك سمّيت الله بأسمائه الحسنى، وذكرته في لفظك، فأمّا (البسملة)، فهي مشتقّة من اسمين من (بسم)، ومن (الله)، ف (بسم) ملفوظ به، واللّام من (الله) جلّ ذكره، وهي لغة العرب، تقول: بسمل الرّجل إذا قال: بسم الله الرّحمن الرّحيم، وحوقل وحولق إذا قال: لا حول ولا قوّة إلّا بالله، وهلل الرّجل إذا قال: لا إله إلّا الله، وهو كثير"[20]، إذن على حسب ما ذكره القيسي، فعبارة (بسم الله الرّحمن الرّحيم) تسمّى التّسميّة وليست البسملة؛ لأنّننا سمّينا فيها الله بأسمائه (الرّحمن الرّحيم)، في حين أنّ البسملة هي فقط عبارة (بسم الله).

ثمّ باب سورة الحمد، فعرض المؤلّف مسألة اختلاف عدد آي سورة الفاتحة، وهل تعدّ البسملة آية منها، فقال: " إن سأل سائل عن علّة اختلافهم في عدد سورة الحمد؟، فالجواب: هو ما قدّمنا من الاختلاف في (بسم الله الرّهمن الرّحيم)، أنّها آية من سورة الحمد' فعدّها الكوفي والمكّي آية ولم يعدا ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾[21] آية، وترك البصري والشّامي والمدني عدّها آية، وعدوا ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ آية، وعلّة من عدّ (بسم الله الرّحمن الرّحيم) من (الحمد) آية ماروي في ذلك من الأحاديث أنّها آية من (الحمد)؛ ولأنّها ثابتة في خطّ المصحف، ولقول عائشة: " اقرؤوا ما في المصحف"، وعلّة من لم يعدها آية هو ما قدّمنا من الأدلة، أنّها ليست بآية من (الحمد)؛ إذ لا يثبت القرآن إلّا بإجماع أو بأخبار متواترة تقطع على غيبها، فلمّا لم يثبت أنّها من (الحمد) آية لم يعدها منها"[22]، اختلف العلماء في عدّ (بسم الله الرّحمن الرّحيم) آية من الفاتحة من عدم ورودها كآية، لكنّ القيسي دعم القول الثّاني ، وهو أنّ (بسم الله الرّحمن الرّحيم) ليست بآية من سورة الحمد وذكر حجّه في ذلك ووضحّها أكثر في باب علل البسملة فقال: " ولأنّ بعض العلماء قد قال: إنّها آية من أوّل كلّ سورة إلّا (براءة) وهو أحد قولي الشّافعيّ، وبه قال ابن المبارك، وهو قول شاذ؛ لأنّهم زادوا في القرآن مائة آية وثلاث عشرة آية، والقرآن لا تثبت فيه الزّيادة إلّا بالإجماع الذي يقطع على غيبه، ولا إجماع في هذا، بل الإجماع قد سبق في الصّدر الأوّل من

الصّحابة، وفي الصّدر الثّاني من التّابعين على ترك القول هذا"[23] وهذا دليل واضح وبيّن على أنها ليست آية من كلّ سورة.

ثمّ ذكر علل هاء الكناية، وبعها مباشرة تناول المدّ وعلله وأصوله، وأفرد له بابا خاصّا به، أوّل ماتطرّق إليه مكّي في هذا الباب المدّ في أيّ شيء يكون، ولأيّ شيء يكون فصرّحا قائلا: "إنّ المدّ لا يكون إلّا في حروف المدّ واللّين، وهي الألف التي قبلها فتحة، والواو التي قبلها ضمّة، والياء التي قبلها كسرة، وإنّما يكون المدّ في هذه الحروف عند ملاصقتهنّ لهمزة، أو ساكن، مشدّد أو غير مشدّد، نحو: (جاء، وقائم، و دآبة، واللّائي) في قراءة من أسكن الياء، ويكون المدّ أيضا في حرفي اللّين؛ إذ أتت بعدها همزة أو مشدّد"[24]، يتضح من قول القيسي أنّ المدّ يرد في حروف العلّة الثّلاثة، والتي تسمّى حروف المدّ؛ أي الواو المضموم ماقبلها والألف المفتوح ما قبلها، والياء المكسور ما قبلها، كما يرد أيضا في حروف اللّين، وهي الواو والياء السّاكنتين المفتوح ما قبلهما مثلا: الياء في كلمة (شيء) ويسمّى مدّ اللّين المهموز، والواو في كلمة (خوف)، ويسمّى مدّ اللّين الذي سببه سكون.

ثمّ باب علل المدّ في فواتح السّور، وبعده باب علل اختلاف القرّاء في اجتماع همزتين، يقول القيسي في هذا الباب: " اعلم أنّ أصل هذا الباب على ضربين، ضرب لم يُختلف في تخفيف الثّانية فيه، وذلك إذا كانت الثّانيّة ساكنة نحو: (أامن، وأادم، وأانتا)، ونحوه، كلهم على تخفيف الثّانيّة، وإبدالها بألف، إذا انفتح ما قبلها، وبياء إذا انكسر ما قبلها، وبواو إذا انضم ما قبلها، وعلى ذلك لغة العرب فيها، قد رفضو استعمال تحقيق الثّانيّة في هذا النّحو حيث وقع...، والضّرب الثّاني اختلف فيه العرب والقرّاء في تحقيق الثّانيّة وتخفيفها فيه، وهو كل همزتين اجتمعتا، ويجوز أن تنفصل الأولى من الثّانيّة نحو: (جاء أحدهم، وهؤلاء إن كنتم، ويشاء) إلى وشبهه"[25].

اختلف القرّاء في تخفيف الهمزة الثّانية من الكلمة إذا اجتمع همزتان في مفردة واحدة من تحقيقها، وانقسم إلى فريقين، فريق يقول بالتّخفيف، والآخر يذهب إلى تحقيقها، ذكر القيسي في هذا الباب رأي الفريقين ثمّ استدلّ على كلّ رأي بالعلل والحجج، وذكر الأئمّة الذين قرؤوا بالتّخفيف والتّحقيق، فهذا الأخير (التّحقيق) قراءة" أهل الكوفة وابن ذكوان، والتّخفيف مذهب نافع وابن كثير، وأبي عمرو وهشام"[26]

ثمّ باب ذكر جمل من تخفيف الهمزة فيما ذكرنا، وباب ذكر علل الهمزة المفرده، وباب علل نقل حركة الهمزة على السّاكن قبلها لورش، وباب علّة الاختلاف في الوقف على الهمز أحكامه وعلله، كلّها أبواب تابعة لباب الهمز.

ثمّ عرض باب علل الرّوم والإشمام، أوّل ما ذكره في هذا الباب، قدّم شرحا مفصّلا لمعنى هاتين الظّاهرتين، فقال: " اعلم أنّ الرّوم والإشمام إنّما استعملتهما العرب في الوقف لتبيين الحركة كيف كانت في الوصل، وأصل الرّوم أظهر للحركة من أصل الإشمام؛ لأنّ الرّوم يُسمع ولا يُرى، والإشمام يُرى ولا يُسمع، فمن رام الحركة أتى بدليل قويّ على أصل حركة الكلمة في الوصل، ومن أشمّ الحركة أتى بدليل ضعيف على ذلك، والإشمام لا يكون إلّا في المرفوع والمضموم، فالرّوم إتيانك في الوقف بحركة ضعيفة غير كاملة، يسمعها الأعمى، والإشمام إتيانك بضمّ شفتيك لا غير من غير صوت، ولا يفهمه الأعمى بحسّه؛ لأنّه لرأي العين"[27]

ثمّ باب تذكر فيه علل الفتح والإمالة وماهو بين اللّفظين، وباب حكم الوقف على اللّام، هذه بعض الأبواب التي تناولها القيسي في مؤلّفه، لم نتطرّق إليها كلّها لكثرتها، فمنها ما أشرنا إلى العنوان فقط، ومنها ما تناولناها بالتّفصيل والشّرح.

ثمّ ذكر توجيه القراءات القرآنيّة مرتّبة على سور القرآن الكريم؛ إذ يذكر السورة إن كانت مدنية أم مكيّة، وعدد آياتها، ثمّ يأتي بالمفردات القرآنيّة التي اختلف القرّاء في قراءتها في السورة نفسها، مشيرا إلى هؤلاء القرّاء، حيث يذكر لكلّ قارئ القراءة التي قرأ بها وما حجّته في ذلك، وهذا منهجه في كلّ سور القرآن الكريم، ذكر الآية القرآنية، والإشارة إلى الكلمة المختلف في قراءتها، ثمّ الإتيان بسندها، وأخيرا ذكر الحجّة والدّليل.

خاتمة:

توصّلنا في نهاية البحث إلى جملة من النّتائج نذكرها فيما يأتي:

– جمع مكي بن أبي طالب القيسي بين علوم اللّغة وعلوم القرآن الكريم. حين ألّف في القراءات القرآنيّة وتوجيهها صوتيّا وصرفيّا ونحويّا ودلاليّا.

–كتاب " الكشف عن وجوه القراءات السّبع وعللها وحججها" للقيسي، يعّد إثراء لعلم القراءات القرآنيّة خاصّة وعلوم اللّغة بصفة عامّة.

–تميّز أسلوب القيسي في كتابه بالسّهولة والدّقّة والوضوح بغية إفادة طلّاب العلم منه؛ لأنّه سلك فيه منهجا تعليميا.

–اعتماد مكي على طريقة السّؤال والجواب في عرض موضوعات كتابه، وذلك لتشويق القارئ واستمتاعه بقراءة الكتاب وفهم مسائله، لأنّه نمط في التأليف كان سائدا في زمنه.

قائمة المصادر والمراجع:

1- ابن بشكوال، الصّلة، تح: إبراهيم الأنباري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، 1989.
2-جمال الدّين لأبو الحسن علي بن يوسف القفطي، أنباه الرواة على أنباه النّحاة، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر الغربي، القاهرة، مصر، ط1، 1987،ج3. 3-
4-مكي بن أبي طالب القيسي، مشكل إعراب القرآن، تح: حاتم صالح الضّامن، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط2، 1984
6- مكي بن أبي طالب القيسي، التّبصرة في القراءات السّبع، تح: محمّد غوث النّدوى، الدّار السّلفيّة، الهند، ط2، 1982.
7- مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السّبع وعللها وحججها، تح: عبد الرّحيم الطّرهوني، دار الحديث، القاهرة،ط1، 2007، ج1.
8-مكي بن أبي طالب القيسي، الهداية إلى بلوغ النّهاية، - ينظر: مكّي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السّبع وعللها وحججها، ج1.

- مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السّبع وعللها وحججها، تح: عبد الرّحيم الطّرهوني، دار الحديث، القاهرة،ط1، 2007، ج1، ص20.[1]

- جمال الدّين لأبو الحسن علي بن يوسف القفطي، أنباه الرواة على أنباه النّحاة، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر الغربي، القاهرة، مصر، ط1، 1987،ج3، ص313.[2]

مكي بن أبي طالب القيسي، التّبصرة في القراءات السّبع، تح: محمّد غوث النّدوى، الدّار السّلفيّة، الهند، ط2، 1982، [3] -ص 01.

- مكي بن أبي طالب القيسي، مشكل إعراب القرآن، تح: حاتم صالح الضّامن، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط2، 1984، ص 01، 05.[4]

- مكي بن أبي طالب القيسي، الهداية إلى بلوغ النّهاية، [5]

- ينظر: مكّي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السّبع وعللها وحججها، ج1، ص 20، 21، 23، ومن ص 25 إلى ص 34.[6]

- جمال الدّين القفطي، أنباه الرّواة على أنبه النّحاة، ص315.[7]

- ابن بشكوال، الصّلة، تح: إبراهيم الأنباري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، 1989، ص808.[8]

[9] –جمال الدّين القفطي، أنباه الرواة على أنباه النّحاة، ص315.

[10] – مكّي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السّبع وعللها وحججها، ج1، ص 101.

[11] – المصدر نفسه، ص102.

[12] – ينظر: المصدر السّابق، ص 06.

[13] – مكّي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السّبع وعللها وحججها، ج1، ص26.

[14] – المصدر نفسه، ج1، ص 36– 37

[15] – المرجع نفسه، ج1، ص 102.

[16] – مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السّبع وعللها وحججها، ج1، ص102.

[17] – المصدر نفسه، ص 103.

[18] – سورة النّحل الآية: 98.

[19] – مكّي بن أبي طالب القيسس، الكشف عن وجوه القراءات السّبع وعللها وحججها، ج1، ص102.

[20] – المصدر السّابق، ج1، ص106– 107.

[21] – سورة الفاتحة، الآية: 07.

[22] – مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السّبع وعللها وحججها، ج1،ص 114.

[23] – المصدر نفسه، ج1، ص 108.

[24] – المصدر نفسه، ج1، ص 130.

[25] – المصدر نفسه، ج1، ص 150.

[26] – المصدر نفسه، ج1، ص152.

[27] – مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السّبع وعللها وحججها، ج1، ص194.